محاضرات في مادة: **قراءة نقدية للمصادر والمراجع**

لفائدة طلبة السنة الأولى (**ماستر " أدب عربي قديم"**)

عنوان المحاضرة التاسعة: **التلقي التأويلي**

- من قراءة النص إلى قراءة أجزاء النص-

أ. بلقاسم دكدوك

نظرية التأويل أو "التفسير". هي نظرية وصفية ومعيارية على حد سواء: يجب أن تصف بشكل صحيح الطريقة التي نعزو بها المحتويات العقلية في الحياة اليومية من ناحية ، ويجب أن تحدد إجراءً قادرًا على تحديد هذه المحتويات بشكل مناسب من ناحية أخرى . ومع ذلك ، فإن المهمة الثانية تابعة للمهمة الأولى: نظرية التفسير التي لن تكون مقبولة نفسياً ، أي أنها لن تتوافق مع ممارستنا العادية في نسب المعتقدات وغيرها، والحالات العقلية التي لا يمكن أن تدعي وصف طريقة صحيحة للتفسير العقلي. لطالما كان الفلاسفة التحليليون على دراية بهذه المهمة الوصفية.

النظرية التفسيرية ، أو نظرية المعنى ، والتي تسمى أحيانًا نظرية مدرسة باريس ، تقوم على مبدأ أساسي: الترجمة ليست عملًا على اللغة ، على الكلمات ، إنها العمل على الرسالة ، على المعنى

سواء أكانت ترجمة شفوية أم مكتوبة أم أدبية أم فنية ، فإن عملية الترجمة تحتوي دائمًا على مكونين: فهم وقول

إنها مسألة تتعلق بالتحليل ، بعد أن فهمت ، ثم أعيدت صياغتها أو إعادة التعبير عنها ، ويعود الفضل إلى "دانيكا سيليسكوفيتش" و"ماريان ليدرير" ، التي أسست هذه النظرية ودافعت عنها بقوة ، مفادها أنها إثبات أن هذه العملية ليس مهمة فحسب ، بل طبيعية أيضًا.

وتتطلب نظرية التأويل - بالنسبة للمترجم- ، امتلاك معرفة معينة: معرفة لغة النص ، وفهم الموضوع وإتقان لغة الكتابة ، ولكن أيضًا طريقة وردود الفعل المثقفة ، والتي ستسمح له بتبني الموقف تجاه النص الذي سيؤدي إلى أفضل نتيجة من خلال البحث عن المعادلات ، دون الوقوع في المراسلات البسيطة.

الخلفية العلمية لنظرية التأويل:

ترتبط نظرية التفسير بموروث فلسفي ألماني أرسيت قواعده في محاضرات اللاهوتي "فردريش شلاير ماخر " (1768-1834)، الذي ذهب إلى إن فهم المعنى النحوي للنص لا يكفي بدون إدراك حدسي، أوسع نطاقا، لنية المؤلف.وفي بحث موسوم: "هرمنيوطيقا شلاير ماخر الرومانتيكية: حول اللغة والتفسير". يقول وليم د.ميلاني، الأستاذ بالجامعة الأمريكية بالقاهرة: إن عمل شلاير ماخر يكشف عن وجود افتراضات واهتمامات مشتركة بين الرومانتيكية والألسنية (علم اللغة)الحديثة، مما لا يمكن فهمه بمعزل عن مشكلة اللغة. وإذ يرى شلاير ماخر أن القواعد وحدها لا يمكن أن تشكل عملا فنيا، فإنه يشير إلى الدور الإيجابي للإلهام في تمكين الفنان الخالق من أن ينتج شيئا لا يمكن بناؤه بطريقة آلية، وبذلك يؤيد شلاير ماخر دعوى "كانط" القائلة: إن قواعد الفن لا تستطيع أن تفسر لنا كيف خرج العمل الفني إلى حيز الوجود.

وقد طور الفيلسوف الألماني " فيلهلم دلثي" (1833-1911)، مضامين أفكار شلاير ماخر، وصاغ مشكلة ما يعرف بـ" الدور الهرمنيوطيقي"، عنما قال: فنحن لا نستطيع أن نفهم أي جزء من النص أو أن نفهم حقبة تاريخية دون فهم لكل النص أو لكل الحقبة، ولكننا -مع ذلك- لا نستطيع فهم الكل دون فهم أجزائه. وحل هذه المعضلة، إنما يكون بالتوفيق بين الجزء والكل، من خلال عمليات فهم مؤقتة، دائمة التعديل، أو إسقاطات حدسية.وفي القرن العشرين يبرز- بعد هيدغر- أربعة مفكرين هرمنيوطيقيين، هم: هانز-جورج جادامر، وبول ريكور، وميشيل فوكو،و ا.د.هيرش. ولكل علم من هؤلاء الأعلام رؤيته وفلسفته (لمعرفة آرائهم، يرجع إلى كتاب ما وراء النص، للدكتور ماهر شفيق فريد

التأويل عند أمبيرتو إيكو:

"ويرتبط التأويل لدى أمبرتو إيكو بمسألة القارئ وآليات التلقي، فالتأويل ناجم عن أن)النص يمثل آلية كسولة (أو مقتصدة) تحيا من قيمة المعنى الزائدة التي يكون القارئ قد أدخلها إلى النص(، والنص بقدر ما يمضي من وظيفته التعليمية إلى وظيفته الجمالية فإنه يترك للقارئ المبادرة التأويلية، حتى لو غلبت فيه الرغبة بعامة في أن يكون النص مؤوَّلا وفق هامش من الأحادية)[1]، فالقارئ عند إيكو أيضا (يقارب النص انطلاقا من منظور أيديولوجي شخصي يقوّم جزءا من موسوعته حتى وإن كان غير مدرك لذلك).[2]
يبدو ما عرضناه آنفا فائضا عن حاجة البحث، ولكنه مناسب - إن لم يكن ضروريا - لمعاينة ما يبدو على صورة مشكلة في المشهد النقدي العربي الراهن، ولي الآن أن أستخلص ما يمكن أن نطلق عليه السمات العامة الكبرى أو التقاطعات لمجمل التعريفات والآراء التي عرضتها بإيجاز شديد، ولكن بدلا من هذه العملية المدرسية التي يتسم إجراؤها بالآلية والحياد والبرود، وربما يقدر من الجبن أيضا - سأقدم تصوري بصفتي قارئ نصوص ومشتغلا على نصوص سردية وشعرية ومسرحية عربية مختلفة. وعلى ذلك فالتأويل طريقة أو منهج للفهم والتفسير والتقويم الجمالي، وليس نظرية نقدية مرتبطة بنظرية فلسفية أو

أيديولوجية أو موقف فكري فلسفي متكامل من العالم إذ يمكن أن يمارس التأويل أفراد أو نقاد أو دارسون يلتزمون مشارب ومواقف فكرية متباينة، وكل منهم يمارس عملية تأويله للنصوص بما ينسجم مع موقفه أو توجهه الفلسفي" مشكلات النقد التأويلي. د. صلاح، مقال عل النت.

منهج لغوي متكامل في سيميائية الثقافات:

لا تسمح الكفاءة اللغوية التي تقل معرفتها بالقواعد النحوية بتقديم قراءات في التأويل. لأن إتقان نظام اللغة شرط ضروري، ولكنه ليس كافيًا ، كما يتضح من البحوث التي تتناول تدريس اللغة. يجب أن يكون مصحوبًا بما يسمى الكفاءة الثقافية ، وغالبًا ما يشار إليه على أنه قيمة مضافة غير محددة عندما تكون أساسية. تستحق علاقتها باللغويات أن تحدد بدقة أكبر.

- ارتباط التأويل بالمواقف الأيديولوجية والمعتقدية المسبقة والذائقة الفردية :
"تتجسّد هذه المشكلة أساسا عبر نفي ما يسمى مفهوم (القراءة البريئة)، فالقارئ، أيا كانت سويته المعرفية، يمتلك تكوينا معرفيا ومعتقديا على درجة قريبة من الاكتمال في لحظة ممارسة فعل القراءة، من الطبيعي أن الاكتمال بمعناه الدقيق لايتم إلا بالموت، فالإنسان من الناحية المعرفية على الأقل، يظل مشروعا مفتوحا قابلا للتغير إلى آخر العمر، ولكن هذا المشروع المفتوح تنتابه انغلاقات شتى يمكن تشبيه آليات حدوثها بآليات إغلاق كتاب إثر الانتهاء من قراءته. المهم أن القارئ لا يمكن أن يواجه ما يقرأ بشكل معرّى من أي نظرة مسبقة، أو أي سلاح معرفي، فهو يمتلك آلياته المتعددة للفهم والتأويل، وهي آليات ناجمة بطبيعة الحال عن قراءات سابقة، ويمكن - أو لابد من - أن تتدخل القراءة الجديدة في تطويرها أو تغييرها، ولكن هذه القراءات السابقة تتدخل تدخلا مباشرا في رسم مساري الفهم والتأويل، عند مباشرة أي قراءة جديدة، وتتداخل طبيعة التكوين المعرفي للقارئ مع الموقع المعتقدي أو الأيديولوجي الذي يلتزمه، ومن الطبيعي أيضا أن يتأثر مسار التأويل بالموقع الذي يتخذه المؤول تأثرا مباشرا.
والناقد بوصفه قارئا متمتعا بخبرة خاصة بالقراءة، وبوصفه منتج نص مشتغلا على نص آخر، حتى لو كان نصا متعاليا في أحيان كثيرة، يخضع مسار تأويله لمواقفه المتكونة قبل مواجهته للنصوص اللاحقة خضوعا جليا في معظم الأحيان. الحالة المثلى أن يستطيع النص فرض طرق تأويله على قارئه، أيّاً كان القارئ، وأيّاً كان النص. وتقتضي الحالة المثلى للناقد أيضا أن يلتزم الموضوعية القصوى لدى تصديه لأي نص يقرؤه. وعلى الرغم من ذلك كله نجد شواهد عديدة في تاريخ الثقافة العربية وغير العربية، تشير بوضوح إلى أي مدى لعبت النظرة المسبقة للنص - ولمؤلف النص أحيانا - دورها في حرف التأويل." مشكلات النقد التأويلي. د. صلاح صالح، مقال عل النت.

المراجع:

ما وراء النص، د. ماهر شفيق فريد.

مقال،مشكلات النقد التأويلي. د. صلاح صالح.https://hashemi123.yoo7.com/

دليل الناقد الأدبي،سعد البازعي وميجان الرويلي، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، المغرب،2002

ملحوظةهامة: أنصح طلبتي الأعزاء بقراءة مذكرة الماجستير، الموسومة: تجليات التأويل في ترجمة المتخيل الروائي، رواية "ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي، بترجمة محمد مقدم أنموذجا - دراسة تحليلية نقدية-، لـ فايزة رملي. قسم الترجمة، جامعة الحاج لخضر، باتنة.